



دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: زكى نجيب محمود وفلسفته الجمالية

المصدر: أدب ونقد - مصر

المؤلف الرئيسي: مطر، أميرة حلمي

المجلد/العدد: مج 9, ع 79

محكمة: لا

التاريخ الميلادي: 1992

الشهر: مارس

الصفحات: 20 - 25

رقم MD: 320072

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

قواعد المعلومات: AraBase

مواضيع: محمود ، زكى نجيب ، الفلاسفة المصريون ،
الفلسفة العربية ، الفلسفة الجمالية، القضايا
الاخلاقية ، الشعر العربي ، الفلسفة النقدية

رابط: <https://search.mandumah.com/Record/320072>

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الإلكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

زكى نجيب محمود وفلسفته الجمالية

نجيب محمود الجمالية لا يهد من الإشارة إلى محاور عدة تدور حولها فلسفته العامة وفلسفته الخاصة في النقد وعلم الجمال. ومن هذه المحاور فلسفته في اللغة ومنهجه في تحليلها، ثم نظريته الانفعالية في القيم، ثم موقفه الموضوعي في النقد الفني وتذوق الشعر.

إن ثقة زكى نجيب محمود بقدرة العلم على تحرير الانسان من أسر الطبيعة وقهر معوقات الحصار ثقة مستمدة من إيمانه بالعقل الذي هو أداة الانسان في المعرفة واكتشاف المجهول، وقد أدى الاعتماد عليه في أوروبا إلى انتقالها من جمود العصور الوسطى إلى عصر النهضة.

وذلك هو مطلب حضارتنا إذا ما أرادت أن تلحق بالركب.

وقد وجد في فلسفة الوضعية المنطقية، ومنهجها في تحليل عبارات اللغة، السبيل الذي يؤيد هذا الايمان بالعلم والمعرفة العلمية. وهو المنهج الذي يحدد الفرق بين القضايا العلمية وماعداها من قضايا لا تدخل في العلم وانما يكون مجالها الدين والأدب والشعر، وقضايا أخرى تبتعد عن أيهما تكون من باب اللغو والبحث فيما وراء الطبيعة او الميتافيزيقا(١).

كتب الكثيرون وما زالوا يكتبون عن جوانب عديدة من فلسفة الدكتور زكى نجيب محمود مثل المنطقية الوضعية في مصر، وصاحب تجديد الفكر العربى والمعقول واللامعقول في تراثنا، والمرفق بين حضارة الغرب وتراث العرب والاسلام، واديب فن المقالة وصاحب موقف من الميتافيزيقا وخرافتها وشارح اللغة الباحث عن مدلولها ومالا معنى له فيها، واخيرا فيلسوف القيم وصاحب موقف في النقد والتذوق الذى لا يجده في الكتب.

وله في كل هذه الموضوعات السابقة ما يفوق الحصر من المقالات والمؤلفات. ويكفي ان نتناول جانبها واحدا منه: جانب النقد وفلسفة الجمال.

في هذا الميدان يظهر تأثيره بالتراث وقدرته على النفاذ الى اعماق اعماقه. ويتجلى ذلك في إشارات الدائمة للجاحظ وأبى حيان التوحيدى وابن جنى وعبد القاهر الجرجانى.

اما تأثيره بفلاسفة الغرب ومفكره ومعاشته لهم فهى معايشة بالغة الاتساع تنهل من منابع التحليل عند راسل وايروفتجنشين، واتباع النقد الجديد neo.criticism أمثال كينت بروك وريتشاردز.

ولكى نعيط بفلسفة الدكتور زكى

من هنا كانت اللغة وعلاقتها بالمعنى هي المحور الاول، وهي النور الذي يهتدى به السالك فى شعاب هذه الساحة المتسعة الآفاق.

احترار الدكتور زكى نجيب محمود تجاه الفلسفة التحليلية، إذ وجدها قد حددت مهمة الفلسفة فى تحليل عبارات اللغة سواء كانت لغة العلم او لغة الحياة الجارية، ووجدها قد تخلصت من عقم البحث فى مشكلات الفلسفة التقليدية وتخبط الميتافيزيقا عندما تشير مشكلات لاحل لها حول المثل والمطلق والجوهر. وعبارات اللغة وفقا لهذه الفلسفة إما أن تصف العالم الخارجى وعندئذ يمكن ان تتصف بالصدق أو بالكذب عند التحقق بالخبرة التجريبية، وإما أن تصف شعور الانسان وانفعاله عندما يعلن رضاه أو سخطه على مايعجبه أو لايعجبه، وعندئذ تكون من قبيل الأحكام الخاصة للقيم فتخرج من مجال العلم وضع الدكتور زكى نجيب محمود نظريته فى القيم بقوله: إن العبارة الأخلاقية وكذلك العبارة الجمالية لاتصف شيئا إنما هى تعبير عن افعال المتكلم. وهى تقال لعلها تشير فى السامع انفعالا شبيها به كما يصيح حيوان من ذعر فتشير الصيحة ذعرا شبيها به عند سائر افراد الفصيلة التى تسمع الصيحة والامل فى ان يستخدم المتفعل كلمة معينة فيغير بها انفعالا شبيها بانفعاله عند السامع مرجعه أن أبناء الجماعة الواحدة يربون على طريقة واحدة فتصطبب كلمة ما بشعور ما فى عملية التربية حتى اذا مانطقت كلمة بعد ذلك أحدثت فى نفس سامعها نفس الشعور الذى كان

قد أصطبب بها مرارا اثناء تنشئته وتربيته(٢).

ويقول ايضا:

« النظرية التى ندافع عنها هى ان الحكم الاخلاقى تعبير عن افعال المتكلم ازاء شئ ما محاولا ان يحدث انفعالا شبيها به عند السامع. واذن فلا صدق ولا كذب لان الانفعالات النفسية ليست مما يوصف بصدق او كذب.

اذ لو كانت القضية الاخلاقية وصفا لشئ خارجى لأمكن مراجعة صدقها بالمطابقة بينها وبين ذلك الشئ الخارجى، ولكن الحكم الاخلاقى كما قلنا ليس من هذا القبيل الوصفى، ليس هو حكما على واقع شئ بمعنى موضوعى بعيد عن ميول المتكلم ورغباته واهوائه.»

ولما كان هذا الموقف الذاتى من القيم هو موقف الفلسفة التحليلية التى يتبناها الدكتور زكى فقد نقول ان موقفه فى النقد الفنى موقف النقاد الانطباعيين، الا أنه فى واقع الأمر يتخذ موقفا موضوعيا علميا عند تناوله موضوعا من موضوعات الادب والفن، بمعنى انه اذا كان الاحساس بالجمال والانفعال به يمثل موقف المتذوق، فإن موقف الناقد لا يقتصر على مجرد الانفعال وانما يسير فى خطوات عقلية لتفسير موضوع هذا الانفعال تفسيرا يكشف عن خصائص العمل الفنى.

يذكر الدكتور نجيب مادار حول عام ١٩٤٨ من جدال بينه وبين المرحوم الدكتور مندور ، اذ كان السؤال: هل يكون النقد الادبى قائما على الذوق أو قائما على العلم؟

وكان رد الدكتور زكى أن هناك قراءتين،

وضع معيارا لتقويم الشعر قبل «كنث برون» وغيره بما يقرب من تسعة قرون.

واضح اذن ان النقد عند زكى نجيب محمود لا يقف عند حد التذوق الشخصى لانه خطوة تالية على التأثر، وعلى الناقد أن يطبق على الآثار الفنية ما يفسر الابداع فى كل ما يعرض له من أمثلة. عليه أن يستخلص من قراءته وممارسته لروائع الفن والادب المبادئ التى تفسر الكثرة مبدأ واحد يجمعها فى وحدة. ومن هذه المبادئ التى يطبقها الدكتور زكى نجيب على فن القصة ضرورة تعمق الكاتب لدوافع السلوك وتفسيرها فلا ينبغي أن تقتصر مهمة الكاتب على رواية أحداث، ذلك لان تسجيل الواقع المحسوس لا ينشئ ادبا قصصيا، وانما يكمن الابداع القصصى فى القدرة على تفسير الأحداث وفى إحكام البناء الذى يجمع هذه الاحداث فى كيان واحد.

كذلك يفسح الدكتور زكى نجيب محمود مكانا كبيرا لنقد الشعر، ويتجول فى ارجاء منه فسيحة تضم شعراء الغرب على السواء مع شعراء العرب القدامى والمحدثين. وجولته ليست جولة ناقد فحسب بل جولة متذوق وناقد وفيلسوف منظر يرى الشعر تصويرا للقطات من العالم الحسى لكنها لقطات قادرة على ان تنقلنا الى مطلق لا محدود (٥)

فكان اللامحدود يتجسد فى الصورة المحدودة وكأن الوجود بأسره يحل فى الذرة الصغيرة. وعلى أساس هذا المبدأ الذى استخلصه فى نقده للشعر تناول قصيدة من قصائد الشاعر الراحل عباس محمود العقاد هى «أنس الوجود» فوضح كيف عمد الشاعر الكبير الى رؤية عبر فيها عن تجسد مصر كلها

قراءة أولى للناقد بحكم الذوق، يحب ما قرأه أو يكرهه، وقد يقف عنه هذا الحد، وعندئذ لا يكون ثمة نقد قد ولد بعد، ولكنه لا يقف عند هذا الحد، ويهم بالكتابة ليوضح وجهة نظره، اعنى ليعلل رأيه بالعتل التى تسنده وتؤيده. والتحليل عملية عقلية لانه رد الظواهر الى أسبابها، ومعنى ذلك أن الذوق خطوة أولى تسبق النقد (٣)

والمذهب الذى يتشيع له الدكتور زكى مذهب يسود النقد الجديد فى اوربا وامريكا، خلاصته أن الناقد عندما يتناول موضوعا من موضوعات الفن والادب فعليه الا يبحث عما يحاكيه هذا العمل الفنى او الادبى سواء كان باطن نفس الفنان او خارجها. على الناقد ان يعكف على تحليل العمل نفسه لا لينفذ من خلاله الى نفس الفنان ولا الى العالم الخارجى، عليه ان يقف عنده ليرى كيف تألفت عناصره. يقول لا يجوز للناقد بناء على هذه المدرسة الجديدة ان يسأل عن لوحة مثلا قائلا ما مغزاها أو مامعناها، لأنه لا مغزى ولا معنى فى الفنون اذ الفن خلق لكائن جديد...

هل نسأل عن جبل او عن نهر او عن شروق او غروب قائلين ما مغزى وماعنى؟ او هل ترانا ننظر إلى التكوين وحده معجبين أو نافرين؟ (٤).

وهذا فى رأيه لا يقتصر على نقاد الغرب المحدثين بل هو قديم عرفه العرب الذين عمدوا إلى تحليل النص. وهو طريق ربما شقه امامهم عمل الفقهاء فى تحليلاتهم للنص القرآنى تحليلا يمكن صاحبه من استخراج الاحكام، وعلى رأس من يذكرون فى هذا المقام عبد القاهر الجرجانى الذى

فيلسوف يرى جوهر الوجود فى الوجدان وفى الحب وفى الحياة لا فى العقل. يقول:

كن بالحوالج حيا فالحجى جدث
لربه ووقار الحلم اكفان

وانما المرء بحيا فى خواجه

وليس يحييه فى الألباب رجحان(٧)

ولقد كان التناقض بين الحياة والعقل او بين الحرية والضرورة لايلغى اجتماعهما عند العقاد انهما القطبان الأساسيان فى كل كائن حى وفى كل آية فنية.

لقد رأى العقاد انه كما تحكم الحياة قوانين الطبيعة كذلك تكون الحرية والقيود قطبي الفن والجمال.

يقول العقاد فى شرح هذه الفكرة: انظر إلى بيت من الشعر وتصرف الشاعر فيه. انه مثل حق لما ينبغى ان تكون عليه الحياة بين قوانين الضرورة وحرية الجمال، فهى قيود شتى من وزن وقافية وإطراد وانسجام، غير ان الشاعر يعرب عن طلاقة نفس لاحد لها حين يخطر بين كل هذه السدود خطرة اللعب ويظفر من فوقها طفرة النشاط ويظير بالخيال فى عالم لا قائمة فيه للعقبان والعراقيل. (٨)

ويسلط الدكتور زكى نجيب أضواء على تراث الأقدمين فى النقد، وينظر فى فلسفة الفارابى فيرى اصالة تجعله معاصرا نظيرا لمشاهير نقاد الغرب فى تحليله النقدي للشعر. والنص الذى يستند اليه الدكتور زكى نجيب هو نص ورد فى كتاب إحصاء العلوم وتعرض الفارابى فيه لشرح طبيعة الشعر ومهمته.

وهو نص على إيجازه يمكن أن يصبح الأساس لمذهب فى الشعر اقرب ما يكون لمذهب الناقد الانجليزى الشهير ايفورد ريتشاردز I

فى تلك التماثيل القابعة فى معابدها منذ اقدم العصور، ثم وصف شعر العقاد بانه اقرب إلى فن العمارة والنحت قد من حجر الصوان، فهو شعر يترك فى النفس آثار الاحساس بالجلال لا بالجمال. يقول الدكتور زكى ليس الجميل والجليل بالمتشابهين فيما بتركانه فى النفس من أثر وجدانى، فالاول من شأنه ان يهز النفس بعاطفة الحب... أما الجليل، فيهز النفس بعاطفة الاعجاب، وعاطفة الاعجاب مركب بأتلف من عناصر أولية منها الهول والروعة والرهبه والقداسة، وهذا هو ما يتركه فى النفس شعر العقاد، فيه شموخ الجبال وصلابة الصوان وعمق المحيط، انظر اليه يتأمل تماثيل معابد أسوان ليزى فيها قبرا يرقد الزمان فى جوفه، والماضى قائم فيه على هيئة شخوص من حجر، تلك الشخوص كأنها مسحورة ترجو أن يحييها كاهن فينزل عنها فعل السحر.

يقول شاعرنا العقاد:

قضى محبه فيه الزمان الذى مضى

فكان له رسما وكان له قبرا

واشهدنا منه شخوصا كأنها

مساحير ترجو كاهنا يهطل

السحرا(٦)

واذا كانت القصيدة الشهيرة للشاعر الامريكى ت.س اليوت «الارض اليباب» من الاهمية العظمى فى أدب الغرب بعد الحرب العالمية الاولى، فما اولى قصيدة العقاد ترجمة شيطان ان تكون على نفس مستواها.

شيطان العقاد لايقوى بالباطل بل بالحق، شيطان كفر بالشر، كذلك كان العقاد يطوع الفلاسفة للشعر وكان من أقدر من استطاعوا ان يكسوا الحق بالجمال فجاء شعره فلسفة.

وفلسفة العقاد تظهر من خلال شعره فهو

فتتجنبه وإن تيقنا انه ليس فى الحقيقة كما
يخيل لنا...»

أى قد يحدث أن ينظر إلى شئ ليس فى
ذاته كريها لكنه يشبه شيئا كريها يستدعى
بحسب قانون التداعى شبيها له.

أما المرحلة الثالثة فهى تصور الأثر
النزوعى الذى يتبع الوهم والخيال إذ يميل
الإنسان أن يتصرف وفق وهمه غاضبا نظره عن
المعرفة العقلية. وبهذا يكون لدوافع اللاوعى
من التأثير فى السلوك مالا يكون للعقل
الواعى.

يقول الفارابى أننا نفعل فيما تخيله لنا
الأقوال الشعرية كفعلنا فيها لو أن الأمر كما
خيله لنا ذلك القول، وإن علمنا أن الأمر ليس
كذلك فإن الإنسان كثيرا ما تتبع أفعاله
تخيلاته أكثر مما تتبع ظنه أو علمه، فأنه كثيرا
ما يكون ظنه أو علمه مضادا لتخيله فيكون
فعله بحسب تخيله لا بحسب ظنه أو
علمه (١١).

بهذه الرؤية أصبح لزكى نجيب دور الريادة
فى الدعوة لمنهج جديد فى تفسير النص شبيه
بما يذهب إليه دعاة التفسير فى أوروبا وألمانيا
(أمثال الفيلسوف الألمانى الفينومينولوجى
جادامير) أولئك الذين يحاولون اكتشاف
النبض الحى والمعاصر فى نصوص تراث
الفلاسفة.

وكذلك يمكن أن تفهم الاصاله بانها معاصرة
عند زكى نجيب محمود وليست كما يشاع من
أنها ثنائية.

بهذه التفسير كان لزكى نجيب
محمود فضل تطبيق منهج فى تفسير
التراث تقصى أعماقه ليقدمه معاصرا
لأبناء القرن العشرين. وعلى هذا

A Richards الذى عرضه فى كتاب
مهادئ النقد الأدبى.

فها هو الناقد الانجليزى ريتشاردز يحلل
عمليات التذوق للقصيدة ، ويذهب إلى القول
بأن العين عند قراءة القصيدة تسير فى
عمليات متتابعة تدرك بها الكلمات المكتوبة
فتحدث استجابات شتى يصل عددها الى ست.
وتتلخص فى الاحساسات البصرية الحادثة
عند قراءة الكلمات ثم ترتبط الصور الخيالية
التي تنطوى عليها هذه الكلمات ثم تطرأ
خيالات اخرى تستدعيها هذه الصور وافكار
عن موضوعات تثير انفعالات واخيرا يتجم عن
ذلك مواقف سلوكية (٩)

وها هو الفارابى يتناول بالتفسير طبيعة
التخييل الشعرى ويبين أثره على القوة
النزوعية للمتلقى.

فيقول فى الفصل الذى عقده لعلم المنطق
من كتابه احصاء العلوم عندما كان بصدد
مقارنة العبارة الشعرية من العبارات الدالة.

«الأقوال الشعرية هى التى تؤلف
فيها اشياء شأنها أن تخيل فى الأمر
الذى فيه المخاطبة خيالا ما أو شيئا
افضل أو احسن، وذلك إما جمالا
او قبحا او جلاله او هوانه أو غير ذلك
ما يشاكل كل هذه (١٠).

ثم يصف المرحلة الثانية التى لا يقف عندها
القارئ وكفى، لتشار فى ذهنة خبرات ماضية
تشبه الصور الحاضرة امام ذهنه فيقول:

«وعرض لنا عند استعمال الأقوال
الشعرية عند التخيل الذى يقع عنها فى
أنفسنا شبيه بما يعرض لنا عند نظرنا إلى الشئ
الذى يشبه ما يعاف. فإننا من ساعتنا يخيل لنا
فى ذلك الشئ انه مما يعاف فتقوم انفسنا منه

- النحو كان جهده العظيم فى تجديد الفكر العربى وتحقيق بعث عقلى يخطو بنا من ركود العصور الوسطى الى نهضة مستقبلية فى جميع آفاق حياتنا الفكرية والثقافية.
- (٣) فى فلسفة النقد ص ١١٦
 (٤) فى فلسفة النقد ص ١٢٢ الى ص ٢٢٥
 (٥) مع الشعراء ص ٨
 (٦) ص ١٥ مع الشعراء
 (٧) ص ٥٩ نفس المرجع
 (٨) عباس محمود العقاد. مطالعات فى الكتب والحياة ص ٢٢٠

هوامش:

- (٩) I.A. Richards Principles of literary criticism 1960.p117
 (١) انظر موقف من الميتافيزيقا. دار الشروق
 (٢) موقف من الميتافيزيقا. دار الشروق ص ١٢٧
 (١٠) مع الشعراء ص ٢٣٠
 (١١) نفس المرجع ص ٢٣١

عبد الرحمن بدوى فى «أدب ونقد»

فى الرابع من شهر فبراير ١٩٩٢ بلغ المفكر والفيلسوف المصرى الكبير الاستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى الخامسة والسبعين من عمره المديد. ومجلة «أدب ونقد» هن واقع مسئوليتها عن متابعة ودراسة وتحليل وتقييم الفكر المصرى والعربى الجاد، فى مختلف مراحلها ونظرياتة وايدولوجياته، تحيى الدكتور عبد الرحمن بدوى، وتتمنى له مزيدا من إنتاجه الجاد والخصب والثرى فى الفكر والفن والدراسات التى قدم بها ملامح من الفكر الأوربى، أغنت الفكر المصرى والعربى، ومزيدا من جهوده العميقة فى تقديم النصوص الهامة التى صاغها كبار المستشرقين عن الشخصيات الاسلامية والعربية، والتأليف بين هذه النصوص فى مقدمات ضافية وتحقيقات أصيلة. وإعرابا عن ذلك، فإن أدب ونقد» ستخصص- خلاف الأبواب الثابتة- عددا من أعداد هذا العام لتقديم فكر الدكتور عبد الرحمن بدوى. وتأمل المجلة ان يسهم السادة الدكاترة والاساتذة المذكورون بعد، بجهودهم الفكرية، مع ماقد يصل المجلة من دراسات وآراء: فؤاد زكريا، حسن حنفى، الطاهر مكي، محمود أمين العالم، محمود اسماعيل، مصطفى ماهر، جابر عصفور، نصر حامد أبو زيد، عبد الرحمن ابو عوف، عبد الغفار مكاوى، حامد طاهر، شكرى عياد، وغيرهم من الأساتذة والمختصين ممن ستشرف المجلة بمساهماتهم القيمة.

«أدب ونقد»